# ظاهرة الكراهة في اللغة العربية
# دراسة صوتيه


إعداد

دكتور/ خالـــد حسّـــان

أستاذ العلوم اللغوية المساعد كلية التربية للبنات- الطائف

المملكة العربية السعودية



مجلة كلية دار العلوم العدد الثاني عشر ديسمبر ٢٠٠٤

# ظاهرة الكراهة في اللغة العربية
## دراسة صوتية

د. خالد حسّـان
أستاذ العلوم اللغوية المساعد
كلية التربية للبنات – الطائف
المملكة العربية السعودية

## تمهيد

تتعرض اللغة لتغيرات عَبْر مرور الزمن ، فيطرأ عليها تغيرات في الأصوات، فتميل اللغة إلى التخلص من صوتين متماثلين في المخرج أو متقاربين فيه، وقد يكون توالي المِثْلين في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، ويتم هذا على مستوى الصوامت والصوائت، وعلة هذا صعوبة تتابع المقاطع والأصوات المتماثلة في النطق.(١) ومثال ذلك في القرآن الكريم "استطاع" صارت "اسطاع" قال تعالى " فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا"،(٢) ومن ثمّ عنى العلماء العرب القدامى بدراسة التغيرات التي تطرأ على اللغة في بعض المواضع.

واللغة العربية في أمسّ الحاجة إلى دراستها لمعرفة خصائصها ، وأسرار بنيتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية ، واستِكناه التغيرات التي لحقت بها ، وموقف العلماء العرب القدامى من هذه التغيرات ، ثمَّ ربط هذه الجهود القديمة بالبحث اللساني المعاصر .

واللغة العربية لها خصائص صوتية، وصف العلماء العرب القدامى بعضها بالكراهة والقبح أحياناً. وقد قمت بجمع كثير من الأمثلة التي وصفها العلماء العرب القدامى بالكراهة والقبح ، لمعرفة أسباب هذه الكراهة ، ومظاهرها ، وعلل العلماء العرب القدامى لها ، ثمَّ موقف الدرس اللساني المعاصر منها، من الناحية الصوتية، "والدرس اللساني العربي لا يزال في معالجته للتراث محصوراً معظمه في أفق مهني بالغ الضيق.(٣)

---

(١) انظر: عبد التواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٧.
(٢) سورة الكهف، ٩٧/١٨.
(٣) انظر: مصلوح، سعد ، مقدمة كتاب معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ٢٠٠٠، ج١، ص ١٣.

واللغة الفصحى ليست بالضرورة هي أقدم أشكال النُطق ، ومن هنا فإن ظاهرة الكراهة أو الاستقباح قد تمثل صورة أقدم من الفصحى تاريخياً ، وقد تكون صورة معبرة عن لهجات عربية قديمة عن الفصحى. كما أن دراسة هذه الظاهرة ربما يفضّ لنا بعض مغاليقها من الناحية الصوتية، كما تطلعنا على التغيرات التي أصابت اللغة الفصحى ، وموقف العلماء العرب القدامى من الأمثلة التي يرونها مخالفة للقواعد التي وضعوها وقاسوا عليها ، وهل كان قياسهم صواباً في كل حالاته؟ وما غايتهم من هذا الوصف للغة الفصحى ؟

وقد شغل مصطلح الكراهة والقبح قدراً لا بأس به من الاهتمام في كتب العلماء العرب القدامى ، ولكنَّ موقفهم منه كان غامضاً وملبساً ، فأحياناً يقصدون به الجواز مطلقاً ، وأحياناً يريدون به الجواز على ضعف ، وأحياناً يقصدون به الامتناع وعدم الجواز ، وأكثر العلماء استخداماً لهذا المصطلح سيبويه في كتابه. فنجد عنده ترادفاً لهذا المصطلح فمرة يستخدم مصطلح الكراهة ، ومرة أخرى يستخدم مصطلح القبح ، ومرة ثالثة يستخدم عبارة "ليس يحسن"، كما أنه يستخدم المصطلح أحياناً بصيغة الفعل مثل : كرهه ، واستقبحه ، ويكرهون ، ويستقبحون .

وجاء في كتاب سيبويه "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة . فمنه مستقيمٌ حَسَنٌ ، ومحالٌ ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب ... وأمّا المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه ، نحو قولك : قد زيداً رأيت ، وكي زيد يأتيك، وأشباه هذا."[٤]

---

[٤] سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٢، ج١، ص ٢٦.

## التغيرات التركيبية للأصوات

اللغة ظاهرة اجتماعية ، تقوم بوظائف كثيرة في حياة الناس ، منها أنها وسيلة اتصال بينهم للتعبير عن أفكارهم وأحوالهم النفسية والاجتماعية والعلمية ، فهي مرآة صادقة للمجتمع ، تكره وتحب ، وتُقبِّح وتحسِّن ، فما يكرهه الناس تكرهه اللغة ، والعكس ، فالناس يهربون من الأمور الثقيلة بميلهم إلى الاقتصاد في المجهود ، والأخذ بمبدأ السهولة والتيسير ، وكذلك اللغة تتخلص من الأصوات الثقيلة والعسيرة في النطق.

وسبب حدوث التغيرات الصوتية في اللغة العربية ثقل الصوت على ألسنة الناطقين باللغة، لذا نراهم ينسبون الخِفَّة إلى الفتحة ، والثقل إلى الضمة والكسرة ، كما عزوا الثقل إلى صوت الهمزة ، وقالوا بكراهية توالى الأمثال من حيث الصامت أو الصائت .

وفي هذا الفصل أتناول التغيرات الصوتية التركيبية التي وصفها العلماء العرب القدامى بالكراهة أو القبح ، من خلال المماثلة الصوتية ، والسهولة والتيسير ، والمخالفة الصوتية ، لمعرفة أسباب الكراهة في هذه الأمور ، ومظاهرها ، وذلك من منظور الدرس اللساني المعاصر .

### أولاً : المماثلة Assimilation

تتأثر الأصوات اللغوية المتجاورة بعضها ببعض ، فينتج عن هذا التأثر تغيير في مخارج الأصوات أو صفاتها ، من أجل حدوث الانسجام الصوتي الذي أطلق عليه اللغويون المحدثون مصطلح المماثلة الصوتية ، وقسَّموها إلى نوعين[٥] :

- رجعي : وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني .
- وتقدمي : وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول .

وقد استخدم أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب مصطلح "التأثر المُقْبل" بدلاً من مصطلح "التقدمي" ، و "التأثر المُدْبر" بدلاً من "الرجعي"[٦] ، وأشير إلى أنني سأعتمد على المصطلح

---

(٥) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، الأنجلو المصرية ن القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٨١ .

(٦) عبد التواب، رمضان، التطور اللغوى، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٣١-٣٥ .

الخاص بالدكتور رمضان عبد التواب ، وذلك وفقاً لما جاء من قضايا صوتية تحت مصـ
الكراهة أو القبح ، في مصنفات علماء اللغة والنحو القدامى .

فأمّا بالنسبة للنوع الأول من أنواع المماثلة الصوتية فهو التأثر المقبل ، وهو أنواع :

١- **التأثر المقبل الكلى في حالة الاتصال** : ومن أمثلة هذا النوع "تتأثر تاء الافتعال دائماً بال
أو الطاء قبلها ، فتقلب دالاً أو طاء مثل : ادترك – ادّرك ؛ ادتهن – ادّهن ؛ اطتلب – اط
؛ اطتلع – اطّلع ؛ اطترد – اطّرد . "(٧) .

٢- التأثر المقبل الكلى في حالة الانفصال .

٣- التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال .

٤- التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال .

وأشير هنا إلى أنني لم أعثر على أمثلة في ظاهرة الكراهة والقبح تنضوي تحت هذا النو
الأول من أنواع المماثلة الصوتية ، ومن ثمَّ فإنَّ هذا التأثر المقبل حَسَن على ألسنة النـاطق
باللغة العربية الفصحى ، فضلاً عن كونه حَسَناً في اللغة الفصحى ، ولذا نستطيع أن نقول : إ
من خصائص اللغة العربية ميلها إلى أن يُؤَثّر الصوت الأول في الثاني من دون قبح أو كراهية

وأمّا النوع الثاني من أنواع المماثلة الصوتية فهو التأثر المُدبر ، وله حظ وافر من الأمثـ
التي وصفها العلماء العرب القدامى بالكراهة في اللغة الفصحى ، وإليك التفصيل :

١- **التأثر المُدْبِر الكلى في حالة الاتصال :**

اشتهر عن لهجة أهل الحجاز ميلها إلى الإظهار في النطق ، فهي تؤثر التأني والوضوح
في الكلام ، يقول سيبويه : "وقالوا : وتد يتد ، ووطد يطد ، فلا يدغمون ؛ كراهيـة أن يلتـبس
بباب مددت ؛ لأنَّ هذه التاء والطاء قد يكون في موضعها الحرف الذي هو مثل ما بعده ، وذلك
نحو : ودِدتُ ، وبَلِلتُ . ومع هذا أنك لو قلت : وَدَّ ، لكان ينبغي أن تقول : "يدّ" ، في "يتد"(٨) .

(٧) عبد التواب، التطور اللغوين ص ٣٣.
(٨) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٤٧٤.

وأمّا لهجة بنى تميم فقد اشتهرت بالإدغام "المماثلة الصوتية" فهي تميل إلى السرعة والخفة في الكلام ، فيُسكّنون التاء للتخفيف في "وَتَدْ" ثمَّ يُدغمون التاء في الدال، فتصبح "ودَّ" . ومن خلال هذا المثال نجد أنَّ الصوت الثاني وهو الدال قد أثّرَ في الصوت الأول وهو التاء بعد تسكينها ، فحدثت المماثلة الصوتية بتأثير الصوت المجهور وهو الدال ، في الصوت المهموس وهو التاء ، ذلك لأن بأن صوت التاء والدال من مخرج أسناني لثوى واحد.

كما يتأثر صوت اللام في كلمة "هلْ " و "بلْ " بصوت الراء في أول الكلمة التي تليها ، فتفنى اللام في الراء ، يقول الزمخشري : "ويتفاوت جواز إدغامها إلى حَسَن وهو إدغامها في الراء، كقولك: "هل رأيت؟" وإلى قبيح وهو إدغامها في النون ، كقولك: " هل نخرج ؟ "[٩] .فتنطق "هَرَّأيت" و "هَنَّخرج" .

ويتفق كلام الزمخشري في إدغام اللام في الراء مع أصحاب القراءات ، فقد قرأ أبو عمرو بن العلاء ويعقوب بن إسحق الحضرمي ، بإدغام اللام في الراء ، في قوله تعالى ( كَمَثَلِ رِيحٍ )[١٠] .فتنطق " كَمَثَرّيح " .

ولكنْ ما سبب قبح إدغام اللام في النون عند الزمخشري ؟ أليس الصوتان من مخرج صوتي واحد ؛ وهو اللِّثة؟ كما أنهما صوتان مجهوران ، وقد وردت قراءات صحيحة بإدغام اللام في النون ، في قوله تعالى ( بلْ نقذفُ بالحقِّ )[١١] فقرأ بالإدْغام الكسائي وابن مُحيصن[١٢]. وواضح أن القبح هنا عند الزمخشري لا يقوم على أساس علمي صحيح ؛ لأن وجود قراءة قرآنية صحيحة تدحض رأى الزمخشري ، كما أن المماثلة الصوتية عند اللغويين لا تمنع إدغام اللام في النون .

---

[٩] الزمخشري، محمود بن عمر، المفصل في صنعة الإعراب، دار الجيل، القاهرة، د.ت.، ص ٣٣٩.

[١٠] سورة آل عمران ١١٧/٣ وانظر أيضا : ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، راجعه علي محمد الضباع، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ت.، ج٢، ص ٧ . انظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات ، ج٦، ص ٩.

[١١] سورة الأنبياء ٢١ / ١٨ .

[١٢] ابن الجزري، النشر، ج٢، ص ٧. انظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات، ج٦، ص ٩.

**٢- التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال :**

يتأثر صوت السين والصاد المهموسان بصوت الدال المجهور فيتحولان إلى صوت مجهور قريب من مخرج الدال ، وهو من الأصوات الأسنانية اللثوية ، وهو أغنى المخارج بالأصوات في اللغة العربية ، ومن ثمَّ يصيران زاياً ، فكلمة " يسدل " و "قصدى" ، تتأثر السين والصاد بالدال فيتحولان إلى زاى ، فنقول : " يـزدل " و " فـزدى " ، يقـول رضـى الـدين الأستراباذى : "قوله : والزاى من السين والصاد الواقعتين قبل الدال ساكنتين ، نحو : يَزْدِلُ ، وقول حاتم الطائي:(١٣) " هكذا فَزْدى أنَهْ " ويبدو أنّ مقولة حاتم توضح جهر صوت الصاد عند قبيلة طيىء.

السين صوت مهموس ، والدال مجهور ؛ فكرهوا الخروج من حرف إلى حرف يناقضه ، ولاسيما إذا كانت الأولى ساكنة ؛ لأن الحركة بعد الحرف ، وهى جزء حرف لين حائل بين الحرفين ، فقربوا السين من الدال ؛ بأنْ قلبوها زايا ، لأنَّ الزاى من مخرج السين ومثلها في الصفير ، وتوافق الدال في الجهر ، فيتجانس الصوتان ، ولا يجوز ههنا أن تُشْرَبَ السينُ صوت الزاى ، كما يُفْعَلُ ذلك في الصاد ، نحو : يصدر ؛ لأن في الصاد إطباقاً . "(١٤)

وواضح أن اللغة أحياناً تكره الخُرُوجَ من صوت مهموس إلى صوت مجهور ، فتقرب بين الأصوات ، بأن يتحول المهموس إلى مجهور حيث تحول صوت السين المهموس إلى صوت الزاى المجهور ، فيتجانس الصوتان المجهوران وهما الزاى والدال ، وأحياناً يحدث العكس ، أي يتحول الصوت المجهور إلى مهموس تحت تأثير صوت ثالث مهموس .

وهناك نوع من المماثلة الصوتية يتم على مراحل ، ومثال ذلك كلمة " سِتّ " التي أصلها " سِدْس " ، يقول سيبويه : " فمن ذلك "سِتّ " ، وإنما أصلها "سِدْس" ، وإنّما دعاهم إلى ذلك حيث كانت مما كثر استعماله في كلامهم ، أن السين مضاعفة ، وليس بينهما حاجز قوىّ ، والحاجز أيضاً مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين ، فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينا ،

---

(١٣) انظر، البهنساوي، حسام، القواعد التحويلية في ديوان حاتم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٣٧-٣٨.

(١٤) انظر : الاستراباذي، رضي الدين، شرح الشافية ابن الحاجب للرضي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، ج ٣، ص ٢٣١ .

فتلتقي السينات ، ولم تكن السين لتدغم في الدال لما ذكرت لك ، فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال ، لئلا يصيروا إلى أثقل مما فرّوا منه إذا أدغموا، وذلك الحرف التاء ، ولم يبدلوا الصاد ؛ لأنه ليس بينهما إلا الإطباق. "(١٥)

ويعلق ا.د. رمضان عبد التواب على كلام سيبويه قائلاً : "وقد مرّت الكلمة بالتطورات التالية : تأثرت الدال المجهورة بالسين المهموسة، فقلبت إلى النظير المهموس وهو التاء، فصارت الكلمة "سِتْس" ، ثمّ أثرت التاء في السين فقلبت تاء ، فصارت الكلمة "سِتّ"(١٦)

وهكذا نجد في هذا المثال أن اللغة تكره توالى ثلاثة أصوات متماثلة في المخرج والصفة، فكرهوا إدغام الدال في السين فتتحول الكلمة "سدس" إلى "سِسّ" لما في ذلك من ثقل على اللسان في النطق ، ومن ثمّ تحولت السين الثانية إلى تاء، فصارت كلمة "سدس" "سدت" ، ثم حدث أن أثّر الصوت المهموس وهو السين في الصوت المجهور وهو الدال، فتحولت الدال المجهورة إلى صوت التاء المهموسة فصارت "سِتّ" . وفي هذه الكلمة نجد تجانساً صوتياً بين الأصوات المهموسة .

وقد تحدث المماثلة بأن يؤثر الصائت على الصامت ، ومن أمثلة ذلك تأثير الكسرة على صوت الكاف في بعض لهجات العرب(١٧) ، وأطلق على هذه الظاهرة لقب الكشكشة والكسكسة ، حيث يتحول صوت الكاف المكسور إلى (تش" أو (تس) ، والسبب في تحول صوت الكاف المكسور إلى هذا الوضع أن صوت الكاف من الأصوات الطبقية ، فهو صوت شديد مهموس مرقق ، "يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق وإلصاقه به ، وإلصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق ، ليسد المجرى الأنفي "(١٨) ، والذي يحدث أن تؤثر الكسرة على الكاف ، فتقلب الكاف إلى ما يقاربها من الأصوات الغارية كالشين ، والأسنانية اللثوية كالسين .

ولكنّ القدماء وصفوا هذه الظاهرة اللهجية المعروفة في ربيعة وبكر بالقبح ، فهل هذا الوصف لأنها لم تشع في اللغة الفصحى أم أن الذوق العربى يأنف منها ؟ يقول السيوطي : "فما

---

(١٥) انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٤٨١ – ٤٨٢ .

(١٦) انظر: عبد التواب، التطور اللغوي، ص ٥٠ .

(١٧) كشكشة ربيعة وكسكسة بكر ، انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين، القاهرة، د.ت.، ج٢، ص٤٧٥ .

(١٨) انظر: عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٥٣ .

استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ ؛ من ذلك : الكشكشة وهى في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنثة شيناً ، فيقولون : رأيتكش ، وبكش ، وعليكش ، فمنهم من يثبتها حالة الوقف فقط ، وهو الأشهر ، ومنهم من يثبتها في الوصل أيضاً .."[١٩]

أحياناً تحدث المماثلة بتأثير الصامت على الصائت ، فأصوات الحلق تُؤثر الفتح بدلاً من الضمة والكسرة في أحايين كثيرة ، والنحاة القدامى يرون أن صيغة " فَعَـــلَ " فـي الماضي عندما يكون عين الفعل أو لامه حرفاً من حروف الحلق فإنّه يلزم الفتح ، نحو : قَـرأَ ، يقـرأُ ، وبَـدأَ ، يبدَأُ ، وقَـلَـعَ ، يقلَـع ، وسأَلَ ، يسأَلُ ، فجعلوا حركتها الفتحة ، حيث مخرجها الحلق، يقول سيبويه : "هذا باب ما يكون "يَفْعَلُ" من "فَعَلَ" فيه مفتوحاً ، وذلك إذا كانـت الهمـزة ، أو الهاء ، أو العين ، أو الحاء ، أو الغين ، أو الخاء ، لاماً أو عيناً . وذلك قولك : قرَأَ ، يقـرَأ ، وبدَأَ ، يبدَأ ... هذا ما كانت هذه الحروف فيه لامات . وأمّا ما كانت فيه عينات فهـو قولـك : سأَلَ ، يسأَلُ ، وثأَرَ ، يثأَرُ .. وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلـق ، فكرهـوا أن يتناولوا حركة ما قبلها، بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجعلوا حركتها من الحرف الـذي فـي حيزها ، وهو الألف . "[٢٠]

يختلف الدرس اللغوي الحديث مع سيبويه في تصنيفه لأصوات الحلق ، إذ يـرى علمـاء اللغة المحدثون أن الأصوات الحلقية هي العين والحاء ، وأن الهمزة والهاء صوتان حنجريّان ، وصنّفوا صوت الغين والخاء والكاف من الأصوات الطبقية ، على حين جعل سـيبويه الغـين والخاء من أصوات الحلق .

ومن ثمّ نرى أن سبب ميل الأصوات الحنجرية والحلقية والطبقية إلـى الفـتح ، هـو أنّ صوت الفتحة متسع بخلاف الضمة والكسرة ، فهما صوتان ضيقان، "فعند نطق صوت الفتحة يكون اللسان مستوياً في قاع الفم ، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنـك ، وتركـت الهواء ينطلق من الرئتين، "ويهز الأوتار الصوتية وهو مارّ بها"[٢١] . إذن ميل أصوات الحلق

---

(١٩) انظر : السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، القـاهرة د.ت.، ج١، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٢٠) انظر : سيبويه، الكتاب ، ج٤، ص ١٠١ .

(٢١) يقصد بكلمة الأوتار الصوتية " الوترين الصوتيين". انظر : عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٩٢ .

إلى الفتح سببه أن الفتح أسهل من الضم والكسر في النطق ، واللغة تميل إلى السهولة وتفرّ من الثقل .

يقول اللغوي الأمريكي "ويتنى" Whitney "كلُّ ما نكتشفه من تطور في اللغة ليس إلا أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذي يُبذل في النطق . "(٢٢) ومن ثمَّ فالمماثلة اقتصاد للمجهود العضلي في النطق ، والهدف من المماثلة حدوث انسجام بين الأصوات ، سواء أكانت صامتة أم صائتة ، ونلحظ هذا في أن اللغة تستثقل أن يتتابع في النطق ضمة وكسرة أو العكس ، والسبب في ذلك أنهما أثقل الحركات ، فتحدث المماثلة أحياناً بالانتقال من الكسر إلى الضم في أول الكلمة عندما يكون الحرف الثالث مضموماً ، وهذا من أجل الانسجام الصوتي بين الحركات ؛ لأنَّ اللغة تكره الانتقال من كسر إلى ضم ، يقول ابن يعيش : "فتقول : اِضرِبْ ، اُخرُج ، اِعلَم ، وهذه الهمزة مكسورة لالتقاء الساكنين ، إلا أن يكون الثالث مضموماً ، فإنك تضمها اتباعاً ، كراهية الخروج من كسر إلى ضم . "(٢٣)

ويقول الزجاج : "فإذا ابتدأت قلت : "اُسْجُدوا" فضممتَ الألفَ ، والألفُ لاحظَّ لها في الحركة . وإنما أدخلت للساكن الذي بعدها ؛ لأنه لا يُبتدأ بساكن ، فكان حقّها الكسر ؛ لأن بعدها ساكناً وهو حرف السين ، وتقديرها السكون ، فيجب أن تكسر لالتقاء الساكنين ، ولكنَّها ضُمَّت لاستثقال الضمة بعد الكسر . وإنما كرهت الضمة بعد الكسرة ؛ لأنها لا تقع في كلام العرب ؛ لثقلها بعدها ."(٢٤) وهكذا تكره اللغة الانتقال من الكسر إلى الضم بسبب الثقل .

وتلك هي الأمثلة التي ورد فيها مصطلح الكراهة أو القبح مقروناً بالمماثلة الصوتية ؛ علّها تكشف سبب كراهية اللغة وأبنائها لبعض الأصوات المتجاورة .

---

(٢٢) انظر: أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٢٣٦ .

(٢٣) انظر: ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.،ج ٧ ، ص ٥٨ ، ج٩، ص ١١٤ .

(٢٤) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص ١١٣ .

## ثانيا : المخالفة Dissimilation

تسير المخالفة الصوتية في اتجاه عكس المماثلة ، فهما يتجاذبان اللغة ، ويُعرِّف الدكتور إبراهيم أنيس المخالفة فيقول: "هي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة، فيقلب أحدهما إلى صوت آخر؛ لتتمَّ المخالفة بين الصوتين المتماثلين.[٢٥] "

وقد شاع بين القدماء العبارات الآتية (كراهية اجتماع المثلين – وكراهية التضعيف - وكراهية اجتماع حرفين من جنس واحد – وكراهية اجتماع الأمثال )[٢٦]، ولا شك أن شيوع مصطلح الكراهة عند العلماء العرب القدامى في ظاهرة المخالفة كثير إذا ما قورن بالمماثلة الصوتية ، وسبب حدوث المخالفة "أنَّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة ، ولتيسير هذا المجهود العضلي يُقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً ، كأصوات العين وأشباهها .[٢٧] " ويقول ابن دريد في الجمهرة: "اعلم أنَّ الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت ، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم، ودون حروف الذّلاقة ، كلَّفته جرساً واحداً، وحركات مختلفة . "[٢٨] وتحدث عملية المخالفة بأن يتحول أحد الصوتين المتماثلين غالباً إلى صوت من أصوات العلة الطويلة أو الأصوات المائعة (اللام والميم والنون والراء) . وذلك لأنَّ الصوتين المتماثلين فيهما ثقل على اللسان في النطق ، كما فيهما مجهود عضلي صوتي ، فتنتقل الأصوات من المماثلة إلى المخالفة .

**أنواع المخالفات الصوتية:**

تتمُّ المخالفة الصوتية بطرق ثلاث : الإبدال ، أو الفَصل، أو الحذف ، وفيما يلي نفصل هذه الطرق بالأمثلة :

---

(٢٥) انظر: أنيس، الأصوات، ص ٢١١ .

(٢٦) انظر: سيبويه، الكتاب، ج٢، ص ٤٠١؛ ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ١٩٥٦، ج٢، ص ٩٠؛ الفراء، معاني القرآن، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي وعلي النجدي، بيروت، د.ت.، ج٣، ص١٦٧ .

(٢٧) انظر: أنيس، الأصوات، ص ٢١٢ .

(٢٨) انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق كرنكو، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٥١هـ، ج٣، ص٢٧٠؛ السيوطي، المزهر، ج١، ص ١٩١ .

فمثال طريقة الإبدال في اللغة العربية كلمة " دينار " بدلاً من " دِنّار " ، فنجد أن النون المشددة عبارة عن صوتين متماثلين ، تحول أحدهما إلى صوت الياء الطويلة ، يقول ابن جنّي موضحاً هذه الحالة : " اعلم أنَّ هذا موضع يُدفع ظاهره إلى أن يعرف غوره وحقيقته . وذلك أنّه أمر يعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها ، فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللفظان، فيخفّان على اللسان ، وذلك نحو "الحيوان" ألا ترى أنه عند الجماعة – إلا أبا عثمان – من مضاعف الياء ، وأنَّ أصله "حييان" ، فلمّا ثقل عدلوا عن الياء ، لكنّه لمّا اختلف الحرفان ساغ ذلك . وإذا كان اتفاق الحروف الصحاح القوية الناهضة يُكره عندهم حتى أبدلوا أحدها ياء ، نحو : دينار ، وقيراط ، وديماس ، وديباج ، فيمن قال : دماميس ، ودبابيج ، كان اجتماعُ حرفي العلة مثلين أثقل عليهم . نعم ، وإذا كانوا قد أبدلوا الياء واواً كراهية لالتقاء المِثْلَيْن في "الحيوان"، فإبدالهم الواو ياء لذلك أولى بالجواز وأحرى . "(٢٩)

وواضح من كلام ابن جنى أن اللغة تفرُّ من الثقل في النطق إلى السهولة وذلك بأن تحوّل أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت له شيوع في اللغة بسبب سهولته على اللسان مثل أصوات العلة واللين . ويرى ابن جنّي أن توالى الأمثال في حروف العلة أثقلُ على اللسان من الحروف الصحيحة ، ويؤكد أن اجتماع الأمثال مكروه ، وعِلّة الكراهة الثقل على اللسان .

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن جنّي أيضاً في المخالفة الصوتية ، قوله : "تظنَّيْتُ" أصلها : "تَظَنَّنْتُ" ، فقلبت النون الثالثة ياء ، كراهية التضعيف . "(٣٠)

وقد حكى الرضي عن سيبويه المخالفة الصوتية بطريق الإبدال عن بعض العرب ، شارحاً التغيرات الصوتية التي حدثت "استخذ فلان أرضاً ، بمعنى : اتَّخَذَ ، قال : ويجوز أن يكون أصله اسْتَتْخَذَ من تَخِذَ يَتْخَذُ تَخْذاً ، فحذفت التاء الثانية ، كما قيل في استاع : إنَّه حذف الطاء ، وذلك لأنَّ التكرير من الثاني ، قال : ويجوز أن يكون السين بدلاً من تاء اتَّخَذَ الأولى ، لكونهما مهموستين "(٣١) .

---

(٢٩) انظر: ابن جني، الخصائص، ج٣، ص ١٨ – ١٩ ؛ السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ج١، ص ٢٦؛ الاستراباذي، شرح الشافية، ج٣، ص ٧٣.

(٣٠) انظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، د.ت.، ج٢، ص ٧٥٧ .

(٣١) انظر: الاستراباذي، شرح الشافية، ج٣، ص ٢٩٤ .

وجاء أيضاً في كتاب سيبويه أنَّ : "الْطَجَعَ" في "اضطجَعَ" أبدلَ اللامَ مكانَ الضاد؛ كراهية التقاء المطبقتين ، فأبدل مكانها أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف . "(٣٢) ، وحدوث المخالفة في هذا المثال كما فسَّرَها سيبويه أن اللغة تكره توالى صوتين مطبقين أحياناً، فأبدلت اللام مكان الضاد ، وصوت اللام من الأصوات ذات الشيوع في اللغة لسهولتها على اللسان "الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي ، فيبدل مع الأيام بأصوات لغته الصعبة نظائرها السهلة . "(٣٣) . وواضح من كلام سيبويه أن اللغة تكره توالى صوتين مطبقين ، فالضاد والطاء من الأصوات الأسنانية اللثوية ، هذا من ناحية المخرج، وأمّا من ناحية الصفة فهما مطبقان ، والإطباق : "ارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق ، بحيث لا يتصل به ، على حين يجرى النطق في مخرج آخر غير الطبق ، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه . (٣٤) " وبسبب المماثلة في المخرج والإطباق حدثت المخالفة الصوتية .

وتروى كتب اللغة والنحو مثالاً عن الخليل بن أحمد الفراهيدى في ظاهرة المخالفة "ولكنهم استقبحوا أنْ يكرروا لفظاً واحداً ، فيقولوا : "ماما" ، فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى".(٣٥)وواضح من هذا المثال أنَّ اللغة تكره توالى مقطع صوتي واحد طويل في كلمة واحدة ، ومن هنا حدثت المخالفة الصوتية ، فتحول صوت الألف إلى هاء .

ومن أمثلة المخالفة الصوتية لِعِلَّة كراهية اجتماع صوتين متماثلين كلمة "قَوُول" التي صارت "قَؤول" ، يقول سيبويه : "كما يكرهون الواوين فيهمزون ، نحو "قؤُول" و "مَؤُونة" ، وأمّا الذين لم يهمزوا فإنهم تركوا الحرف على أصله ، كما يقولون : "قَوُول" فلا يهمزون ."(٣٦) وذلك بسبب الثقل في النطق على اللسان ، واللغة تميل إلى السهولة والتيسير .

---

(٣٢) انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٤٨٣ ؛ ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج١، ص ٣٢١ .

(٣٣) انظر: أنيس، الأصوات، ص ٢٤٣ .

(٣٤) حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٨٩ .

(٣٥) انظر: سيبويه، الكتاب ، ج٣، ص٦٠؛ ابن يعيش، شرح المفصل، ج٧، ص ٤٣؛ السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١، ص٢٦ .

(٣٦) انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٣٣١ .

وكما هو واضح من كلام سيبويه نلحظ أن اللغة تفرُّ من تكرار صوتين متماثلين بإبدال أحدهما بصوت آخر غالباً ما يكون من أصوات العلة واللين ، ولكن في هذا المثال يتحول الصوت الأول إلى همزة ، ونلحظ أن اللغة تخلصت من صوتين ثقيلين وهما الواو الطويلة التي تُعد من أثقل الحركات الصوتية في اللغة العربية ،ومخرج صوت الواو يتضح " حين نصعد أثناء التصويت بمؤخر اللسان في اتجاه الحنك اللين إلى أقصى نقطة لا ينبغي تجاوزها في المنطقة الخلفية حتى لا يعترض اللسان مسار الهواء ، فستكون الحركة الناتجة هي أقصى حركة ممكنة في الجهة الخلفية العلوية ، ويرمز لها بالرمز ( u ) . وبالنظر إلى أنّ هذه الحركة هي أكثر الحركات الخلفية ضيقا اصطلح على تسميتها الحركة الخلفية الضيقة ."[٣٧] وتكرار المتماثلين في كلمة واحدة ، إلى صوت واحد ، وهو صوت الهمزة . ويجوز أن تكون رواية "قوول" لهجة أهل الحجاز ، و"قؤول" لهجة بنى تميم ، وكما هو معروف فإن لهجة الحجاز لا تهمز ، بينما لهجة تميم تهمز . كما يحتمل أن تكون لهجة بنى تميم هي الأقدم والأصل ، فهم بدو ، حافظوا على كلمة "قوول" بالهمز ، ثمَّ تغيرت الكلمة على لسان أهل الحجاز وهم حضر يستثقلون الهمز ، فتخلصوا منها، فنطقوا الكلمة "قؤول" وهذا النطق أحدث من نطق بنى تميم .

ومن أمثلة الإبدال لكراهة توالى الأمثال ما حدث في كلمة "أشياء" يقول سيبويه : "وكان أصل "أشياء" "شيئاء" فكرهوا منها مع الهمزة مثل ما كُره من الواو .. ولكنهم قلبوا الهمزة قبل الشين ."[٣٨] ومن خلال كلام سيبويه يتضح أن التخلص من توالى الأمثال هنا بطريق القلب المكاني، فانتقلت الهمزة الأولى في "شيئاء" إلى أول الكلمة ، أي قبل حرف الشين ، فصارت "أشياء" .

ولكن ا.د. رمضان عبد التواب له تفسير آخر في كلمة "أشياء" فيقول: "ولعلَّ المسئول عن منع كلمة "أشياء" من الصرف ، وقوعها في القرآن الكريم في سياق تتوالى فيه الأمثال ، لو صرفت ، في قوله تعالى "لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبْدَ لكم تسؤكم. "[٣٩] ؛ إذ لو صرفت لقيل : "عن أشياءٍ إنْ" ولا يخفي ما فيه من تكرار المقطع "إنْ" . "[٤٠] فتنطق " عن أشيائن إن " .

---

(٣٧) انظر : مصلوح ، دراسة السمع والكلام ص ٢٠٥.

(٣٨) انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٣٨٠ .

(٣٩) سورة المائدة ٥ / ١٠١ .

(٤٠) انظر: عبد التواب، التطور اللغوي، ص ٧٤ – ٧٥ .

واللغة العربية تكره الجمع بين الساكنين في وسط الكلمة ، فتتخلص من ذلك بإبدال أحدهما إلى صوت الهمزة ، يقول ابن يعيش : "اعلم أنَّ من العرب من يكره اجتماع الساكنين على كلّ حال ، وإنْ كانا على الشرط الذي يجوز فيه الجمع بين ساكنين ، من نحو : "دابَّة" ، و "شابَّة" ، فيحرك الألف ؛ لالتقاء الساكنين ، فتقلب همزة؛ لأنَّ الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يحتمل الحركة ، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف إليه ، وهو الهمزة ، والهمزة حرف جلْد يقبل الحركة، فمن ذلك ما يُحكى عن أيوب السختياني من أنَّه قرأ "ولا الضَّألّين"[٤١] فهمز الألف وفتحها؛ لأنه كره اجتماع الساكنين ؛ الألف واللام الأولى ."[٤٢] وفيما يلي نحاول تحليل القراءتين صوتيا عن طريق المقاطع الصوتية ، فثمَّة علاقة وشيجة بين التنفس والكلام ، فلا يحدث الكلام من دون ضغط الهواء فيما تحت الحنجرة في أثناء عملية الزفير التي يتمّ معها النطق .

ففي قراءة الجمهور " ولا الضّالّين " يمكن أن نتأمّل مقاطع هذه العبارة على النحو الآتي :

وَ = واو + فتحة ( ص ح ) .

لاضْ = لام + ألف مدَّ + ضاد ساكنة ( ص ح ح ص ) .

ضالْ = ضاد + ألف مدّ + لام ساكنة ( ص ح ح ص ) .

لين = لام + ياء مدّ + نون ساكنة ( ص ح ح ص ) .

وفي قراءة أيوب السختياني " ولا الضّألّين " نتأملها على النحو الآتي :

وَ = واو + فتحة + ( ص ح ) .

لاضْ = لام + ألف مدّ + ضاد ساكنة ( ص ح ح ص ) .

ضَ = ضاد + فتحة ( ص ح ) .

ألْ = همزة + فتحة + لام ساكنة ( ص ح ص ) .

---

[٤١] سورة الفاتحة ٧/١ . وانظر : ابو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت.، ج١، ص ٢٩. وانظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات، ج١، ص ٢٤.

[٤٢] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩، ص ١٢٩ – ١٣٠ .

لين = لام + ياء مدّ + نون ساكنة ( ص ح ح ص ) .

ومِمَّا سبق نلحظ أنّ قراءة أيوب السختياني تنتقل من المقطع الطويل بالمدّ والإسكان ( ص ح ح ص ) المتكرر ثلاث مرّات متتالية في قراءة الجمهور إلى تنوع المقاطع الصوتية ما بين مقطع قصير ومقطع متوسط مُقْفَل ومقطع طويل بالمدّ والإسكان . ومن ثمَّة تخلّصت اللغة العربية من تكرار المقطع ( ص ح ح ص ) ، كما يمكن القول : إنّ قراءة الجمهور فيها نوعان من الإشباع ؛ الأول بطريق الصائت الطويل ، والثاني بطريق تضعيف الصامت ، وفي ذلك مجهود في النطق بطول النَّفَس .

ولا شك أن ورود قراءة شاذة بهمز الألف في كلمة "الضَّالِّين" يؤكد صحة ما ذهب إليه ابن يعيش ؛ لأن القراءات القرآنية مصدر أصيل للغة العربية ، ففيه صحة السند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، [٤٣] ويجوز أن تكون قراءة أيوب السختيانى صورة لإحدى اللهجات العربية القديمة التي تقلب الساكن الأول همزة إذا التقى ساكنان في وسط الكلمة .

ومن المخالفة الصوتية في اللغة العربية كذلك ما حدث للاسم الممدود عند التثنية، إذا كانت همزته للتأنيث ، نحو "حمراء" و "صفراء" فتقلب الهمزة واواً ، فتصير "حمراوان" "صفراوان" ، يقول الشَّلَوبين : وسببه اجتماع الأمثال ، فإنَّ هناك ألفين ، وبينهما همزة ، والهمزة قريبة من الألف ، قال : وكان قلبها واواً أولى من قلبها ياء ؛ لأنَّ الياء قريبة من الألف، والواو ليست في القرب إليها مثلها ، والجمع بين الأمثال مكروه عندهم . "[٤٤] .

وللباحث رأى مخالف لكلام ابن الشَّلَوْبين ، فأولاً : إنَّ ما حدث في كلمة "حمراوان" ليست مخالفة صوتية كما ذهب الشَّلَوْبين ، ولكنَّ الذي تمَّ هو من قبيل المماثلة الصوتية ، وثانياً : إنَّ صوت الياء ليس قريباً من الألف إذا ما قورن بصوت الواو ، "فليست الضمة عدّوة للكسرة ، كما يتردد في بعض كتب العربية ، بل هما من فصيلة واحدة ، وذلك على العكس من صوت الفتحة الذي يعد قسيماً للضمة والكسرة."[٤٥] . ويقول الدكتور سعد مصلوح : " ويلاحظ أنّ

---

[٤٢] أثارت القراءات الشاذة جدلا واسعا حول شروطها وضوابطها بين علماء القراءات، مثل ابن شنبوذ وابن مقسم ومكي وغيرهم. انظر: ابن الجزري، النشر، ج١، ص ١٤.

[٤٤] انظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١، ص٢٦ – ٢٧ .

[٤٥] عبد التواب، المدخل، ص ٩٤ .

الفروق الكمية بين الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة ليست على مثل هذه الدرجة من الوضوح. لذا يمكن أن يقال : إنّ الكم هو المميز الأساسي بين الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة ، على حين يشترك الكم والكيف في تمييز الضمة القصيرة والضمة الطويلة ، وتمييز الكسرة القصيرة والكسرة الطويلة "[٤٦] وثالثاً : يرى ا.د. عبد الرحمن أيوب[٤٧] وا.د. رمضان عبد التواب[٤٨] أن صوت الهمزة مهموس، وأن صوت الألف والواو والياء مجهور، حيث يخرج الهواء عند النطق بهذه الأصوات في مجرى مُستمر خلال الحلق والفم ، ومن ثمَّ فإن صامت الهمزة وقع بين صائتين طويلين مجهورين، ويحتاج اللسان في نطقهما إلى أن يتحرك دون أن يشكل تحركه اعتراضا في طريق تيار الهواء فتأثر بهما، فتحول صامت الهمزة الحنجري المهموس إلى صوت انزلاقي مجهور وهو صائت الواو "وحين نصعد في أثناء التصويت بمؤخر اللسان في اتجاه الحنك اللين إلى أقصى نقطة لا ينبغي تجاوزها في المنطقة الخلفية حتى لا يعترض اللسان مسار الهواء، فستكون الحركة الناتجة هي أقصى حركة ممكنة في الجهة الخلفية العلوية ويرمز لها بالرمز (U) . وبالنظر إلى هذه الحركة هي أكثر الحركات الخلفية ضيقا اصطلح على تسميتها الحركة الخلفية الضيقة و ي شبيهة بحركة الضمة-بقطع النظر عن الطول- في الكلمة العربية "سواء".[٤٩]

ومن أمثلة المخالفة الصوتية بطريق الفَصْل وجوب إظهار "أنْ" بعد لام التعليل ، إذا دخلت على "لا" ، وذلك كراهية توالى الأمثال ، يقول السيوطي : "وجوب إظهار "أن" بعد لام كى ، إذا دخلت على "لا" نحو : لئلا يعلم ، حذراً من توالى مثلين ، لو قيل: للايعلم"[٥٠]

ولا شك أن القدماء فطنوا إلى زيادة فاصل بين الصوتين المتماثلين وهذا الفاصل قد يكون ألفاً ، نحو : "آأنت" ، و "اخشينانِّ" ، ويمكن القول إن صوت الألف إذا سُبق بفتحة ، فليس بصامت ولكنه صائت طويل ، والقدماء لم يتنبهوا إلى هذه الفكرة ، وقد نسب سيبويه وغيره من

---

[٤٦] انظر : مصلوح ، دراسة السمع والكلام ص ٢٠٩ ــ ٢١٠.

[٤٧] أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.، ص ١٨٣ .

[٤٨] عبد التواب، المدخل، ص ٥٧ .

[٤٩] مصلوح، سعد عبد العزيز، دراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢٠٥.

[٥٠] انظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١، ص ٢٨ .

القدماء زيادة ألف بعد همزة الاستفهام في "آأنت" إلى بنى تميم؛ لأنهم اشتهروا بالهمز ، وأمّا أهل الحجاز فهم يخففون الهمزة ، يقول ابن يعيش : "وأمّا أهل الحجاز فيخففون الهمزتين معاً ؛ لأنّه لو لم تكن إلا واحدة لخففت ، قال سيبويه : ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفاً ، وذلك لأنهم كرهوا التقاء الهمزتين ، ففصلوا بينهما بألف ، كما قالوا : "اخشينانّ" ، ففصلوا بألف بين النونات كراهية التقاء هذه الحروف المضاعفة ، فأمّا قول الشاعر :

**فيا ظبيةَ الوَعْساءِ بَيْنَ جُلاجِلٍ وبَيْنَ النَّقا آأنت أمْ أُمُّ سالمِ**

البيت لذي الرُّمَّة ، والشاهد فيه : إدخال الألف بين الهمزتين من قوله : "آأنت" كراهية اجتماع الهمزتين ، كما دخلت بين النونات في قولهم : "اضربنانّ" كراهية اجتماعهما"(٥١) وواضح من كلام ابن يعيش أنَّ اللغة العربية تكره اجتماع المثلين ، فتتخلص من ذلك بزيادة ألف فاصلة بين الهمزتين أو بين النونين ، وكما ذكرت آنفاً أنَّ الألف هنا عبارة عن مطل حركة الصوت الأول . وأمّا في كلمه "اخشينانّ" فنلحظ ثلاث نونات ، وقعت الألف بعد النون الأولى التي هي نون النسوة ، لمطل حركة هذه النون، من أجل الفصل بينها وبين نون التوكيد الثقيلة ، وكذلك مثال "اضربنانّ" .ويمكن تفسير هذه الكلمات ( اخشينانّ ــ اضربنانّ ــ تتبعانّ ) تفسيرا صوتيا باستخدام المقاطع الصوتية ، فكلمة " اخشينانّ " نتأمّلها على النحو الآتي :

اِخْ = همزة وصل + كسرة + خاء ساكنة ( ص ح ص ) .

شَيْ = شين + فتحة + ياء ساكنة ( ص ح ص ) .

نان = نون + ألف مدّ + نون ساكنة ( ص ح ح ص ) .

نِ = نون + كسرة ( ص ح ) .

ونلحظ مِمَّا سبق أنّ وقوع ألف المدّ بعد نون النسوة وقبل نون التوكيد يمكن تفسير ذلك صوتيا ؛ فاللغة العربية تميل أحيانا إلى تكرار إشباعين متتاليين من نوعين مختلفين ، فالأول يكون بطريق الحركة الطويلة ، والثاني بطريق تضعيف الصامت ، وهذان النوعان من الإشباع نراهما في كلمة " اخشينانّ " و " اضربنانّ " و " تتبعانّ " . كما أن النبر يقع على المقطع الأخير من الكلمة إذا كان هذا المقطع ( ص ح ح ص ) أو ( ص ح ص ص ) وفي

(٥١) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩، ص ١١٩ .

الأمثلة السالفة الذكر نجد انتهاء الكلمة بالمقطع ( ص ح ح ص ) ؛ ومن ثمّ يقع النبر هنا على المقطع ( ص ح ح ص ) ، وأشير إلى سبب آخر يوضح علّة إضافة ألف المدّ بعد نون النسوة وقبل نون التوكيد ، وهو أن الإشباع في اللغة العربية يؤدّي إلى قوة الإسماع في العربية ، فضلا عن الطابع الإنشادي في الأدب العربي ، ولاعتماد العرب في نقل اللغة على المشافهة .

ذكرت من قبل طريقتين من طرق المخالفة الصوتية ، للتخلص من توالى الأمثال ، والآن أعرض الطريقة الثالثة ، وهى المخالفة الصوتية بطريق الحذف .

تتجه اللغة العربية إلى الفرار من توالى الأمثال ، عن طريق الحذف ، وهذا نراه جلياً في الفعل المضارع المؤكد بالنون ، عند إسناده لضمائر الرفع المتصلة ، نحو قوله عز وجل "ولا تتَّبِعانِّ سبيل الذين لا يعلمون"[٥٢] ، فأصل الكلمة "تَتَّبعانِنِّ" ، فاجتمع فيها ثلاث نونات ، وفي هذا ثقل على اللسان في النطق ، لذا حُذفت النون الأولى التي هي نون الرفع ، فصارت "تتبعانِّ"[٥٣]. وغير خاف على كلِّ ذى لُبّ أن تكرار ثلاث نونات في كلمة واحدة ، فيه ثقل على اللسان ، واللغة تكره توالى الأمثال ، فتتخلص منه بحذف النون الأولى التي هي نون الرفع في هذا المثال الذي شرحه ابن عقيل .

ومن أمثلة المخالفة الصوتية بطريق الحذف ، لكراهة توالى الأمثال في اللغة العربية ، يقول الزمخشري : "وقد عدلوا في بعض ملاقى المِثْلَيْن أو المتقارِبَيْن ؛ لإعواز الإدغام ، إلى الحذف ، فقالوا في "ظللت" ، و "مسست" ، و "أحسست" ، : ظلْتُ، ومسْتُ ، وأحسْتُ"[٥٤] ويعلق ابن يعيش على كلام الزمخشري ، فيرى أنّ النحاة لم يوفقوا في وضعهم كراهة اجتماع المتجانسين في باب الإدغام ؛ لأنّه ليس منه ، ولكنّه ضَرْب من الحذف في الكلمة للتخفيف على اللسان في النطق ، "اعلم أنّ النحويين قد نظموا هذا النوع من التغيير في سلك الإدغام ، وسمّوه به ، وإنْ لم يكن فيه إدغام ، إنّما هو ضَرْب من الإعلال ؛ للتخفيف ؛ كراهة اجتماع المتجانسين

---

(٥٢) سورة يونس ١٠ / ٨٩ .

(٥٣) انظر: ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ١٩٩٨، ج١، ص ٣٩ .

(٥٤) انظر: الزمخشري، المفصل، ص ٣٧٠؛ ابن يعيش، شرح المفصل، ج١٠، ص ١٥٣؛ ابن الشجري، الأمالي، تحقيق محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٢، ج١، ص ٩٧؛ السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١، ص ٢٧ .

كالإدغام ، وذلك قولهم : ظلْتُ ، ومسْتُ ، وأحسْتُ[٥٥] " والسبب في إدراج النحاة المخالفة الصوتية في باب الإدغام أن سيبويه في كتابه صنع هذا النظام ، ثمَّ تبعه من جاء بعده ، وقد فطن ابن يعيش إلى هذا ، فرأى أن من الصواب وضع هذا النوع من التغيير في باب خاص به، وتعالج فيه كلُّ الظواهر اللغوية التي تنضوي تحته ، حيث إنَّ أمثلة هذا النوع متناثرة في أبواب النحو العربي .

ومن الحذف في المخالفة الصوتية لكراهة توالى الأمثال قولهم : "واعلم أنَّه ليس يحسن لـ "أنَّ" أنْ تلي "إنَّ" ، ولا "أنَّ" كما قبح ابتداؤك الثقيلة المفتوحة .. واعلم أنَّه ليس يحسن أنْ تلي "إنَّ" "أنَّ" ، ولا "أنَّ" "إنَّ" .." [٥٦] والسبب في الكراهة هنا أنَّ تكرار مقطع صوتي واحد وهو "أنْ" و "إنَّ" فهذه الأداة تتكون من :" أنْ "= همزة + فتحة + نون ساكنة ( ص ح ص ) . "نَ" = نون + فتحة ( ص ح ) وفي تكرار هذا المقطع ثقل على اللسان في النطق ، واللغة تميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي .

وقَمِين بالذكر أنَّ سيبويه أكْثَرَ من الأمثلة المتنوعة في ظاهرة المخالفة الصوتية، ويعلل ذلك باستثقال توالى الأمثال ، وأحياناً تتمُّ عملية المخالفة الصوتية على مراحل ، فعندما يجتمع في كلمة أربع ياءات ، فإنهم يحذفون الياء الأولى الزائدة ، ثمَّ يبدلون الياء الثانية واواً ، ثمَّ يضيفون ياء النسب المشددة ، نحو "عَدِيّ" عند النسب إليها تصبح "عَدَوِيّ" ، يقول سيبويه : "وذلك قولك في "عَدِيّ" : "عَدَوِيّ" وفي "غَنِيّ" : "غَنَوِيّ" ، وفي "قُصيّ" : "قُصَوِيّ" ، وفي "أُمَيّة": "أُمَوِيّ" . وذلك أنهم كرهوا أن توالى في الاسم أربع ياءات ، فحذفوا الياء الزائدة التي حذفوها من "سُلَيْم" ، و "ثَقِيف" ؛ حيث استثقلوا هذه الياءات ، فأبدلوا الواو من الياء التي تكون منقوصة ؛ لأنك إذا حذفت الزائدة فإنما تبقى التي تصير ألفاً . "[٥٧] ، ويعلِّلُ كارل بروكلمان على توالى مقطعين متماثلين في الكلمة أنَّه "إذا توالى مقطعان أصواتهما الصامتة متماثلة أو متشابهة جداً، الواحد بعد الآخر في أول الكلمة فإنه يكتفي بواحد منهما ؛ بسبب الارتباط الذهني بينهما[٥٨] " .

---

[٥٥] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج١٠، ص ١٥٣ .
[٥٦] انظر: سيبويه، الكتاب، ج٣، ص ١٢٤ ؛ ابن يعيش، شرح المفصل، ج٧، ص ١٥ .
[٥٧] انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٣٤٤ .
[٥٨] انظر:بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، الرياض، ١٩٧٧، ص ٧٩ .

ولقد فطن القدامى من أمثال ابن جنى وابن يعيش إلى أن كلمة "أكـرمُ" أصـلها "أكـرمُ" فحذفوا الهمزة كراهية اجتماع همزتين في الفعل ، فينتج عن ذلك ثقيلان : الأول : ثقل صوت الهمزة ، والثاني : ثقل توالى الأمثال ، يقول ابن جنّى : "قولهم أنا أكرمُ ، حذفوا الهمـزة التـي كانت في "أكْرَمَ" ؛ لئلا يلتقي همزتان ، لأنه كان يلزم ، أنا أؤكرم ، فحذفوا الثانيـة ، كراهـة اجتماع همزتين ، ثمَّ قالوا : نكرم ، وتكرم ، ويكرم ، فحذفوا الهمزة ، وإن كان لو جاءوا بها ، لما اجتمع همزتان ، ولكنهم أزادوا المماثلة ، وكرهوا أنْ يختلف المضارع ، فيكون مرة بهمزة، وأخرى بغير همزة ، محافظة على التجنيس في كلامهم . [٥٩] "

ممّا سبق ذكره ، نجد أن المخالفة الصوتية بطريق الحذف ، قد تحدث في أول الكلمـة ، مثل "أأكرم" ، أو في وسط الكلمة مثل "ظلْت" ، أو في آخر الكلمة مثل "تتبعانّ"، وهذه المخالفـة كانت في الأصوات الصامتة ، وقد تحدث المخالفة الصوتية فـي الأصـوات الـصائتة ، بـين الصوائت القصيرة والطويلة ، ومن أمثلة حذف الصائت يقول الشلّوبين في "شرح الجزوليـة : "إنّما قدّرت الضمة في : جاء القاضي ، وزيد يرمِى ، ويغزو ، والكسرة في : مررتُ بالقاضي؛ لثقلهما في أنفسهما ، وانضاف إلى ثقلهما اجتماع الأمثال ، وهم يستثقلون اجتماع الأمثال ، قال : والأمثال التي اجتمعت هنا هى الحركة التي في الياء ، والواو والحركة التي قبلهمـا ، واليـاء والواو مضارعتان للحركات ؛ لأنهما من جنسها ، ألا ترى أنهما ينشآن عن إشباع الحركـات، فلما اجتمعت الأمثال خففوا، بأن أسقطوا الحركة المستثقلة . قال : ويدل على صحة هذه العلّـة أنهم إذا سكّنوا ما قبل الواو والياء في نحو : غَزْو وظَبْى ، لم يستثقلوا الضمة ؛ لأنّه قـد قلّـت الأمثال هناك ، لكون ما قبل الواو والياء ساكناً لا متحركاً ، فاحتملوا ما بقى من الثقل لقلّته . [٦٠]"

وكلام الشلّوبين لنا ملاحظ عليه ، فقد عدَّ في الياء في كلمة "القاضي" فيها حركة قـصيرة بالكسرة ، وكذلك الواو في كلمة "يغزو" فيها حركة قصيرة بالضمة ، وهذا الكلام لا يوافق مـا وصل إليه الدرس اللغوي الحديث ، فالياء والواو في هاتين الكلمتين هما حركتان طويلتان ، كما أنه لم يفرق بين الواو عندما تكون صامتاً ، وبين الواو عندما تكون صائتاً طويلاً ، وذلك فـي

---

[٥٩] انظر: ابن جني، المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله آمين، القاهرة، د.ت.، ج١، ص ١٩٢؛ ابـن يعيش، شرح المفصل، ج٧، ص ٥٩ .

[٦٠] انظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١، ص ٢٨ – ٢٩ .

كلمة "ظَبْي" و "غَزْو" ، فالياء والواو هنا صامتان، وبقى أن نقول : إن عدم وضع حركة قصيرة بالضمة أو الكسرة فوق " القاضي" أو "يغزو" أن الواو والياء ثقيلتان في النطق ، كما يصعب الانتقال من الكسر إلى الضم في "جاء القاضي" وكذلك يصعب إشباع الواو بالضم ، لأنها مشبعة، ومن ثمَّ فحذف الحركة القصيرة هنا للثقل في النطق على اللسان ، واللغة تكره الثقل في النطق.وإذا نظرنا إلى صوت الياء في" ظَبْي" والواو في " غَزْو " من حيث طبيعتهما النطقية الفوناتيكية فهما نصفا صائت ، وأمّا إذا نظرنا إلى صوت الياء والواو في " ظَبْي " و " غَزْو" من حيث وظيفة الصوت الفونولوجية فهما صامتان ، مثل الإعلال والإبدال .

ومن المعروف أن اللغة العربية تكره توالى أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة ، فالمقطع القصير المفتوح يتكون من صامت وصائت قصير ، فنجد الفعل الماضي الثلاثي المتصل بضمير الرفع المتحرك يحدث له تسكين في المقطع الثالث ، لئلا يتوالى أربعة مقاطع ، نحو "كَتَبْتُ" ، فالذي حدث هو حذف حركة الصامت الثالث من الكلمة بتسكينه ، فالسكون تعنى انعدام الحركة وحذفها ، وقد فطن العلماء العرب القدامى إلى أن اللغة العربية مفقود فيها توالى أربع متحركات ، لكراهية أن يتوالى فيها أكثر من ثلاث متحركات ، يقول ابن يعيش : "وذلك نحو : انطلق ، واقتدر ، واستخرج ، واشهابَّ ، واشهبَّ ، واغدودن ، واعلوَّط ، فهذه الأبنية قد لزم أولها همزة وصل ، وذلك لسكون أولها ، وإنّما سكن كراهية أن يتوالى فيها أكثر من ثلاث متحركات ، ألا ترى أننا لو حركنا النون من "انطلق " ، والطاء واللام والقاف متحركات ، لتوالى فيها أربعة متحركات ، وذلك مفقود في كلامهم . وكذلك "افتعل" نحو "اقتدر" وسائرها محمول على ما ذكرنا . "[٦١] ومن ثمَّ نلحظ أن ما تكرهه اللغة العربية وينتج عنه المخالفة الصوتية بطريق الحذف ، يُعدُّ من خصائص هذه اللغة ، فهي تكره توالى أربع صوامت متحركة، كما تكره الابتداء بالساكن ، والمخالفة تتم بين الصوامت والصوائت أيضاً ، وهذه المخالفة غايتها السهولة والتيسير في النطق على اللسان .

**ثالثاً : نظرية السهولة والتيسير**

ترى هذه النظرية أنَّ اللغة تنحو إلى الاقتصاد في المجهود العضلي ، فتترك الأصوات العسيرة في النطق ، وتميل إلى الأصوات السهلة ، والدليل على صحة هذه النظرية أنَّ اللغة

---

(٦١) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٨، ص ١١٩ .

العربية تميل إلى التخلص من صوت الهمزة الثقيل في النطق ، بتسهيله ، ولا شك أن لهجة أهل الحجاز عُرف عنها تسهيل الهمزة ، بينما أهل تميم يحققونها ، وأحياناً تكون الهمزة بين بين ، أى بينها وبين الحرف الذي منه حركتها ، وورد في القراءات القرآنية تحقيق الهمزة وتسهيلها في قوله تعالى : "إنّما نحن مستهزِءون"[٦٢] فقراءة الجماعة بتحقيق الهمزة[٦٣] ، وقرأ يزيد بن القعقاع وحمزة والأخفش بتسهيلها[٦٤] ، وقرأ أبو جعفر بحذف الهمزة وضمّ ما قبلها من أجل الواو[٦٥]، فتنطق "مستهزون" أو "مستهزيون". ويقول أبو حيان الأندلسي : "وقرئ "مستهزءون" بتحقيق الهمزة ، وهو الأصل ، وبقلبها ياء مضمومة ؛ لانكسار ما قبلها ، ومنهم من يحذف الياء تشبيهاً بالياء الأصلية في نحو: يرمون، فيضم الراء ، ومذهب سيبويه – رحمه الله - في تحقيقها: أنْ تجعل بين بين . ومذهب أبى الحسن : أنْ تقلب ياء قلباً صحيحاً ، قال أبو الفتح: حال الياء المضمومة منكر ، كحال الهمزة المضمومة ، والعرب تعاف ياء مضمومة قبلها كسرة."[٦٦] ولعلماء اللغة والنحو القدامى ثلاثة مذاهب هنا : الأول : موقف سيبويه وهو جعل الهمزة بين بين ، والثاني : مذهب أبى الحسن الأخفش قلبها ياء ، والثالث : موقف الجمهور وهو التحقيق . كما نلحظ أن أبا حيان يؤكد على أن العرب يكرهون ياء مضمومة قبلها كسرة ؛ بسبب الثقل في النطق .

وواضح من كلام أبى حيان الأندلسي أن قراءة "مُستَهزِءون" ننتقل فيها من كسر صوت الزاى إلى ضم الهمزة ، والعرب يكرهون الانتقال من الكسر إلى الضم ، فتقلب الهمزة المضمومة إلى ياء ، لحدوث تجانس صوتي بين الياء وهى حركة طويلة ، وكسرة الزاى .

وقد تتخلص اللغة من الهمزة بحذفها ، وإلقاء حركتها على الحرف الصحيح الساكن قبلها ، نحو "الخَبْء" تصير "الخبَ" ، فالتخلص من الهمزة بالحذف تطبيق لنظرية السهولة والتيسير في اللغة ، لأن الهمزة صوت ثقيل في النطق ؛ "لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية ثم

---

[٦٢] سورة البقرة ٢ / ١١٤ .

[٦٣] انظر: أبو حيان، البحر، ج١، ص ٦٩ ؛ الزجاج، معاني القرآن، ج١، ص ٨٨ . وانظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات، ج١، ص ٤٨ .

[٦٤] انظر: الزجاج، معاني القرآن، ج١، ص ٨٩ .

[٦٥] انظر: ابن الجزري، النشر، ج١، ص ٣٩٧؛ الدمياطي، البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، صححه وعلق عليه علي محمد الضباع، القاهرة، د.ت.، ص ١٢٩ .

[٦٦] انظر: أبو حيان، البحر، ج١، ص ١١٤ .

انفراج هذه الأوتار فجأة . "[٦٧] ، ولم يجعلوا همزة "الخبْء" بين بين لئلا يلتقى ساكنان ، واللغة تكره التقاء الساكنين ، وورد في قراءة عكرمة ومالك بن دينار وابن مسعود "الخبا" بألف بدل الهمزة في الوصل . [٦٨]

وذكر ابن يعيش أن حذف الهمزة أبلغ في التخفيف ، "إذا كان قبل الهمزة المتحركة حرف صحيح ساكن ، نحو : يسأل ، ويجأر ، والمسألة ، والخبْء ، والكمْأة، والمَرْأة ، والمِرْآة ، فالطريق في تخفيفها أن تُلقى حركتها على ما قبلها وتحذفها ، وتقول في "مسألة" "مَسَلة" ، وفي "الخَبْءَ" "الخَبَ" .. وذلك أنَّ الحذف أبلغ في التخفيف، وقد بقى من أعراضها ما يدل عليها ، وهو حركتها المنقولة إلى الساكن قبلها ، ولم يجعلوها بين بين ؛ لأنَّ في ذلك تقريباً لها من الساكن ، فكرهوا الجمع بين ساكنين."[٦٩]

اشتهر عن القبائل العربية في النطق حالتان : الفتح ، وينسب لأهل الحجاز ، وقبائل غربي الجزيرة العربية ، والإمالة تعزى إلى قبائل وسط وشرقي الجزيرة العربية ؛ ومن ثمَّ أشهر من روى عنهم الإمالة من القراء العشرة حمزة ت سنة ١٥٦هـ والكسائي ت سنة ١٨٩هـ وخلف ت سنة ٢٢٩هـ وهؤلاء القراء من الكوفة؛ أي تأثروا بقبائل وسط وشرقي الجزيرة العربية ، بينما اشتهر عن باقي القراء العشرة الفتح .

ومن الناحية الصوتية فإنَّ "اللسان مع الفتح يكاد يكون مستوياً في قاع الفم ، فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمى بالإمالة ، وأقصى ما يصل إليه أول اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى ، هو ذلك المقياس الذي يسمى عادة بالكسرة ؛ طويلة كانت أو قصيرة . "[٧٠] .

---

[٦٧] انظر: عبد التواب، التطور اللغوي، ص ٧٦ .
[٦٨] أبو حيان، البحر، ج٧، ص ٦٩ . انظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات، ج٦، ص ٥٠٧ .
[٦٩] ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩، ص ١٠٩.
[٧٠] أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.، ص ٦٤ .

وتعريف الإمالة هي "أن تميل الفتحة إلى الكسرة ، والألف إلى الياء ."[٧١] ويعزى الدكتور إبراهيم أنيس أن "إمالة الفتح إلى الكسر يجب في الحقيقة أن تعزى بصفة عامة إلى أحد عاملين : الأصل اليائي ، والانسجام بين أصوات اللين . "[٧٢]

ويبدو أن اختلاف النحاة القدامى في الأفعال المعتلة ؛ الأجوف ، والناقص ، واللفيف المقرون ، نتج عنه تباين الآراء حول جواز الإمالة في أشياء ومنعها في أشياء أخرى ، فما يراه سيبويه مكروهاً في الإمالة ، يراه ابن يعيش حسناً ، فضلاً عن اختلافهم في إمالة ما كان أصله واواً ، يقول سيبويه : "وكره بعض العرب إمالة نحو "رَمَى" ؛ لكراهة أن يصيروا إلى ما فروا منه ، يعنى أنهم قلبوا الياء ألفاً ، أولاً ، فلِمَ يقلبون الألف بعد ذلك ياء ؟ قلت : وينبغي على هذا أنْ يكرهوا إمالة نحو "باب" و "عاب" و "باع" و "هاب" ؛ لحصول العلَّة المذكورة ."[٧٣] وهكذا نجد أن سبب كراهة الإمالة في كلمة "رمى" أنها قبل أن تتحول إلى ألف كانت ياء ، فلماذا نعود إلى الياء بعد أن فررنا منها؟

وأمّا ابن يعيش فإنه يرى أن إمالة "رمى" أمر حَسَن ، بينما نجده يجيز على قبح إمالة ما كان أصله واواً ، "الألف إذا كانت في آخر الكلمة ، فلا تخلو من أن تكون منقلبة عن واو أو ياء، فإن كانت منقلبة من ياء في اسم أو فعل فإمالتها حسنة ، وذلك قولك في الفعل "رمى" و"قضى" و "سعى" . وفي الاسم "فتى" و "رحى" ؛ لأن اللام هى التي يوقف عليها .

وإن كانت من الواو فإن كانت فعلاً جازت فيه الإمالة على قبح ، نحو قولك : "غزا" "دعا" "عدا" . "[٧٤] .

وللغويين المحدثين رأى يختلفون فيه مع النحاة القدامى ، ونجمله في النقاط الآتية :

**أولاً** : ما أجازه ابن يعيش على قبح من إمالة ما أصله واو ، لا يتفق مع الدرس اللغوي الحديث، وذلك لأن "الإمالة" في هذه الحالة كان حقها أن تكون من الفتح إلى الضم ، لا من الفتح إلى الكسر . [٧٥] "

---

(٧١) الراجحي، عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٩، ص ١٤٤ .
(٧٢) أنيس، في اللهجات، ص ٦٨ .
(٧٣) انظر: الاستراباذي، شرح الشافية، ج٣، ص ١١ .
(٧٤) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩، ص ٥٧ .

ثانياً : ذكر سيبويه أنَّ بعض العرب يكرهون إمالة "رمى" لئلا يصيروا إلى ما فرّوا منه ، إذن فسبب الكراهة هنا هو العودة إلى حالة أو مرحلة انتقلت منها اللغة ، ولكنَّ الدكتور إبراهيم أنيس يرى "أن الأمر هنا ليس أمر مواضعة مقصودة متعمدة ، وإنّما هو عادة لكلّ قبيلة . فتلك التي تميل لا تستطيع غير الإمالة ، وتلك التي تفتح لا تطاوعها ألسنتها بغير الفتح . فالمسالة لا تعدو أن تكون عادة ككل العادات اللغوية يتوارثها الخلف عن السلف دون شعور بها[٧٦] . "

ثالثاً : اشتهر بين القراء العشرة من عُرف بالإمالة ، مثل حمزة ، والكسائي، وخلف ، كما أن أبا عمرو بن العلاء كان يميل "كلَّ ألفٍ في نهاية الكلمة ، منقلبة عن ياء ، سواء كانت الألف لام الكلمة ، أم كانت للتأنيث ، وسواء اتصل بالكلمة ضمير أم لا، فالتي هي لام الكلمة مثل: نرى ، يرى ، اشترى .." [٧٧] ومن أمثلة إمالة ما أصله ياء في القراءات "هدى للمتقين"[٧٨] قرأ بإمالة "هدى" في الوقف حمزة والكسائي وخلف والأعمش. [٧٩] .

رابعاً : هناك تطور صوتي حدث للفعل الأجوف والناقص واللفيف ، وهذا التطور تمَّ على مراحل ، أولاها : أنها كانت: قَوَلَ ، بَيَعَ ، وخَوَفَ . وثانيتها: مرحلة التسكين، نحو : قَوْلَ، بَيْعَ ، خَوْفَ . وثالثتها: انكماش الأصوات المركبة ، وهى الواو والياء المسبوقتان بالفتحة فتتحول الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة طويلة ممالة، وتتحول الياء المفتوح ما قبلها إلى كسرة طويلة ممالة . وهذه المرحلة شائعة في لهجة تميم وباقي قبائل وسط وشرقي الجزيرة العربية ، وبها وردت كثير من القراءات بالإمالة. ورابعتها: وهى التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص وهذا التطور هو الذي وصلت إليه اللغة العربية في نحو : قام ،

---

(٧٦) انظر: أنيس، في اللهجات، ص ٦٩ .

(٧٧) انظر: أنيس، في اللهجات، ص ٦٩.

(٧٨) انظر: شاهين، عبد الصبور، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ابو عمرو بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١١٣ .

(٧٩) سورة البقرة ٢ / ٢ .

الدمياطي، الإتحاف، ص ١٢٦؛ ابن الجزري، النشر، ج٢، ص ٣٦. انظر أيضا: الخطيب، معجم القراءات، ج١، ص ٢٩ .

وباع ، وخاف وهذه المرحلة شائعة في لهجة أهل الحجاز وسائر قبائل غربي الجزيرة العربية.[٨٠]

**خامساً** : يقول ا.د. إبراهيم أنيس : إنَّ "انتقال الإمالة إلى الفتح ليس له ما يبرره سوى الاقتصاد في الجهد العضلي ، والميل إلى السهولة التي يلجأ إليها الإنسان في معظم ظواهره الاجتماعية . "[٨١] .

ومن مظاهر نظرية السهولة والتيسير في اللغة تسكين الحرف الثاني من الكلمة للتخفيف ، إذا كان الحرف الأول مفتوحاً ، نحو "فَخِذ" تصير "فَخْذ" ؛ وذلك لأنهم يستثقلون الكسرة والضمة، فيتخلصون منهما بحذفهما ، يقول سيبويه تحت عنوان هذا باب ما يسكن استخفافاً ، وهو في الأصل متحرك : "وذلك قولك : في فَخِذ : فَخْذ ، وفي كَبِد كَبْد ، وفي عَضُد عَضْد، وفي الرَّجُل: رَجْل ، وفي كَرُم : كَرْم ، وفي عَلِم : عَلْم ، وهى لغة بكر بن وائل ، وأناس كثير من بنى تميم."[٨٢] ثمّ يُعلّق سيبويه على ذلك فيقول : "وإنَّما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور ، والمفتوح أخفّ عليهم ، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخفّ إلى الأثقل."[٨٣]

وممّا يؤكد اطراد نظرية السهولة والتيسير أن القراءات القرآنية جاء فيها تسكين المتحرك، فقرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وحمزة وغيرهم "ولا تتبعوا خُطْوات الشيطان"[٨٤] بضم الخاء وسكون الطاء .

كما نجد أن لهجة تميم تميل إلى تسكين عين الكلمة إذا كان من حروف الحلق ، بينما أهل الحجاز يميلون إلى فتح حروف الحلق ، والتسكين أخفُّ من الفتح ، كما أن الفتح أخفُّ من الكسر والضم ، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنما يدل على أن اللغة تميل إلى السهولة في النطق، واقتصاد المجهود العضلي ، "وأمّا أهل الحجاز فنظروا إلى أنَّ حقَّ حروف الحلق إمّا فتحها أو

---

(٨٠) انظر: أنيس، في اللهجات، ص ٦٥؛ عبد التواب، بحوث ومقالات، ص ٥٩ – ٦٦ .

(٨١) أنيس، في اللهجات، ص ٦٧ .

(٨٢) انظر: سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ١١٣ – ١١٤ .

(٨٣) انظر: : سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ١١٥ .

(٨٤) سورة البقرة ١٦٨/٢ . وانظر: أبو حيان، البحر، ج١، ص ٤٧٩؛ ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ص ١٧٤ ؛ الخطيب، معجم القراءات، ج١، ص ٢٣٠ .

فتح ما قبلها ؛ هبْ أنّه تعذر فتحها لما ذكرنا من العلة، فلِمَ غُيِّر ما قبلها عن الفتح ، وهو حقُّها إلى الكسر ؟ وهل هذا إلا عكس ما ينبغي ؟ واللغتان اللتان يشترك فيهما الحلقي وغيره : أولاهما : فَعْل ، بفتح الفاء وسكون العين، نحو : شَهْد ، في الفعل ، وفَخْذ ، في الاسم ، وفي غير الحلقي ، علْم ، في الفعل ، وكَبْد ، في الاسم ، وإنّما سكّنوا العين كراهة الانتقال من الأخف؛ أي الفتح ، إلى الأثقل منه ، أي الكسر ، في البناء المبنى على الخفة ، أي بناء الثلاثي المجرد ، فسكّنوه ؛ لأنّ السكون أخفُّ من الفتح ، فيكون الانتقال من الفتح إلى أخفّ منه . "(٨٥)

ومن أمثلة السهولة والتيسير في اللغة نجد أن الكلمة إذا انتهت بمقطع قصير مفتوح (صامت + حركة قصيرة) فإنها تبتعد عنه بإغلاقه عن طريق امتداد النفس بتاء التأنيث ، نحو : فاطمة ، فإنها تُنطق في الوقف "فاطمه" بهاء السكت ، وكذلك عند الوقف على الفعل المعتل الآخر بالواو أو الياء ، فبعد حذف حرف العلة يحدث تقصير للحركة ، فتنتهي الكلمة بمقطع قصير مفتوح ، "واللغة تكره هذا المقطع في أواخر الكلمات ، فيمتد النفس بهاء السكت"(٨٦) ، يقول سيبويه تحت عنوان : هذا باب ما تلحقه الهاء في الوقف لتحرك آخر الحرف : "وذلك قولك في بنات الياء والواو فيهن لام في حال الجزم : ارمِهْ ، ولم يغزُهْ ، واخشَهْ ، ولم يقضِهْ ، ولم يرضَهْ ، وذلك لأنهم كرهوا إذهاب اللامات والإسكان جميعاً ، فلمّا كان ذلك إخلالا بالحرف كرهوا أن يُسكنوا المتحرك . "(٨٧)

وكذلك من مظاهر السهولة والتيسير في اللغة ما ذكره سيبويه في باب "ما حُذِفَ الياء والواو فيه القياس" كراهية حذف الياء في كلمة "طويلة" عند النسب إليها ، فيكتفي بحذف التاء ، فتصير "طويلي" ، يقصد سيبويه بالكراهة هنا المنع وعدم الجواز، ثمّ يعلل سبب الكراهة بأن يونس بن حبيب قال : إنّ العرب تكره تحريك الواو قبل أن تتحول إلى ألف في "طال" كانت ساكنة ، فذكر أن هذا يكره ، كما يكره حذف الياء في كلمة "شديدة" بسبب استثقالهم تضعيف حرف الدال ، يقول سيبويه موجهاً سؤاله إلى يونس : "قلتُ : فكيف تقول في "بنى طويلة" ؟

---

(٨٥) الاستراباذي، شرح الشافية، ج١، ص ٤١ – ٤٢ .
(٨٦) عبد التواب، المدخل، ص ٢٥٧ .
(٨٧) انظر: سيبويه،الكتاب، ج٤، ص ١٥٩ .

فقال: لا أحذف ، لكراهيتهم تحريك هذه الواو في "فَعَل" ، ألا ترى أنَّ "فَعَل" من هـذا البـاب ، العين فيه ساكنة ، والألف مُبْدَلة ، فيُكره هذا ، كما يُكره التضعيف ."[٨٨]

وفي تفسير سيبويه لعدم حذف الياء في كلمة ".. طويلة " غموض ، لأنَّ المراحل التي مرَّ بها الفعل الأجوف والناقص واللفيف لم تكن مكتملة لديه ، وذكرت آنفاً أن هناك أربع مراحل في اللغة العربية وأخواتها اللغات السامية ، وأن سبب الكراهة يعود إلى رفضهم العودة إلى مرحلة فرَّت منها اللغة ، فأولى هذه المراحل "طوَل" بتحريك عين الفعل ، والثانية تسكين الـواو فـي "طوْل" ، والثالثة : إمالة الواو فيها ، والرابعة : التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص ، فتصبح "طال"[٨٩] . ومن ثمّ نلحظ أن سبب المنع والكراهة عند يونس وسيبويه هو كراهية الرجوع إلى المرحلة الأولى والثانية ، وواضح أن هذه الحالة التي اعترض عليها يـونس وسـيبويه تمثـل مرحلة من مراحل تطور الفعل المعتل ، فالمرحلة لم تندثر نهائياً ؛ ولكن بقى منها أمثلـة، ولأن النحاة القدامى لم يصلوا إلى درجة مقارنة العربية باللغات السامية ، فحدث هذا القياس النحوي.

---

[٨٨]: سيبويه، الكتاب، ج٣، ص ٣٣٩ .

[٨٩] انظر: عبد التواب، بحوث ومقالات، ص ٥٩ – ٦٤ .

# الخاتمة

## أهـــم النتائـــج

١- اللغة العربية الفصحى تكره أحياناً الانتقال من صوت مهموس إلى صـوت مجهـور، والعكس ، لذا تقرب بين الأصوات للتجانس الصوتي ، والاقتصاد في المجهود العضلي فـي النطق .

٢- التأثر المقبل "التقدمي" حَسَن عند الناطقين باللغة الفصحى ، حيث لم يصفوه بالكراهة .

٣- قد يقصد بالقبح "الكراهة" الصفة اللهجية لقبيلة ما ، نحو الكسكسة والكشكـشة . التـي تنسب إلى ربيعة وبكر وغيرهما .

٤- الكراهة قد تعنى أحياناً الثقل في النطق على اللسان ، فاللغة الفصحى تكره الضمة بعـد الكسرة ، وتكره ياء مضمومة قبلها كسرة ، وتكره الجمع بين ساكنين .

٥- اللغة تكره توالي صوتين متماثلين أو أكثر ، فتتخلص من ذلك بالمخالفة الصوتية ، عن طريق الإبدال ، أو الفصل ، أو الحذف .

٦- اللغة تكره الأصوات الثقيلة مثل الهمزة ، فتتخلص منه بالحذف ، أو القلب ، أو تجعلـه بين بين . وهذا من منطلق السهولة في اللغة .

٧- لم يوفق العلماء العرب القدامى في وصف إمالة "باع" التي أصلها ياء بالكراهة، بـسبب عدم مقارنتهم العربية باللغات السامية.

٨- اللغة تكره الانتقال من الأخفّ إلى الأثقل.

٩- اللغة تكره الوقوف على المقطع القصير المفتوح .

١٠- من أسباب الكراهة عند العلماء العرب القدامى اختلاف اللهجات العربية .

# مراجع البحث


١. البهنساوي، حسام، القواعد التحويلية في ديوان حاتم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢.

٢. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، راجعه على محمد الضباع-المكتبة التجارية القاهرة، بدون تاريخ.

٣. ابن الشجري، الأمالي، تحقيق محمود الطناحي-مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٩٢م.

٤. ابن جني الخصائص، تحقيق محمد على النجار، القاهرة، ١٩٥٦م.

٥. ابن جني، المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفي وعبد الله أمين، القاهرة، بدون تاريخ.

٦. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفي السقا وآخرين، القاهرة، بدون تاريخ.

٧. ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين- القاهرة، بدون تاريخ.

٨. ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد-مكتبة دار التراث-القاهرة، ١٩٩٨م.

٩. ابن مجاهد، السبعة ، تحقيق شوقي ضيف-دار المعارف-القاهرة، ١٤٠٠هـ.

١٠. ابن يعيش، موفق الدين النحوي، شرح المفصل-مكتبة المتنبي-القاهرة، بدون تاريخ.

١١. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط -مطبعة السعادة-القاهرة، بدون تاريخ.

١٢. الأزدي، ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق كرنكو-حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٥١هـ.

١٣. الأستراباذي، رضى الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين-دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٨٢م.

١٤. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، للدكتور -مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة ١٩٩٥م.

١٥. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية -مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.

١٦. أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، للدكتور -مكتبة الشباب-القاهرة، بدون تاريخ.

١٧. بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ، ترجمة رمضان عبد التواب-الرياض، ١٩٧٧.

١٨. حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة-مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ١٩٩٠م.

١٩. الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات-دار سعد الدين-دمشق، ٢٠٠٢م.

٢٠. الدمياطي ، البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، ، صححه وعلق عليه على محمد الصباغ-القاهرة-بدون تاريخ.

٢١. الراجحي، عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية -مكتبة المعارف-الرياض، ١٩٩٩م.

٢٢. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ، تحقيق عبد الجليل شلبي-عالم الكتاب-بيروت، ١٩٨٨م.

٢٣. الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب-دار الجيل-القاهرة، بدون تاريخ.

٢٤. سيبويه، أبو عثمان عمرو، الكتاب، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون-مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٩٢.

٢٥. السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٦. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٧. شاهين، عبد الصبور، أبو عمرو بن العلاء، أثر القراءات في الأصوات والنحو-مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٧٨م.

٢٨. عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه -مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٩٠.

٢٩. عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة -مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٠. عبد التواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة -مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٩٩٥م.

٣١. الفراء، معاني القرآن، تحقيق عبد الفتاح شلبي، وعلى النجدي-دار السرور-بيروت، بدون تاريخ.

٣٢. مصلوح، سعد ، مقدمة كتاب معجم القراءات للخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ٢٠٠٢.

٣٣. مصلوح، سعد،دراسة السمع والكلام ، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠.

**Abstract**

**The Phenomenon of *alkarāhah* (Phonetic undesirability) in the Arabic Language**
**A Phonetic Study**
**By Dr. Khaled Hassan**

Language is a social phenomenon; it is given life by means of the tongues of those who speak it. It thus reflects the changes in pronunciations. In this research I have attempted to deal with the phenomenon of *alkarāhah* (undesirability) in the Arabic language, and to study it from a phonetic perspective, so that we may know its manifestations and causes as far as the predecessors as well as the stance of the contemporaries are concerned. I have to talked the phenomenon from the viewpoint of phonetic similarity, phonetic dissimilarity, and ease, so that we may become aware of some of its obscure aspects.

**First: Phonetic Assimilation**: I have to deal with it from the angle of progressive assimilation and regressive assimilation, the latter being more familiar in this phenomenon. The occurrence of phonetic assimilation is motivated by phonetic harmony between consonants and vowels. For example, Az-Zamakhsharī described the elision of the sound (r) in the sound (n) as undesirable, which I refuted. Assimilation may occur when a vowel influences a consonants, such as *alkaskasah* (changing the (K) into (s) and *alkashkashah* (replacing the (K) by (sh) as in the speech of the tribes of Rabī'ah and Muḍar, a case described as undesirable. Also Arabic holds it undesirable to shift from *aḍ-ḍamm* (high back vowel) to *al-ḳaṣr* (mid front vowel) or vice versa, because of difficulty in pronunciation, which motivates assimilation.

**Second: Phonetic dissimilation**: This goes in the opposite direction of assimilation. It was commonly undesirable for the ancient to combine two identical sounds. I have mentioned the manifestations of dissimilation and its causes. Dissimilation is a short of reducing the difficulty in pronouncing two identical sounds. It takes place in three forms: phonetic change, as in *dīnār* instead of *dinnār*; separation, as in the necessity of explicitly pronouncing '*an* after the *lām* of reason when it is used with la, e.g. *la'illā* is used instead of *lillā*; and deletion, as in *dhaltu* instead of *dhalaltu*.

**Third: Ease of Pronunciation**: The language tends to be economical as far as muscular effort is concerned; it avoids difficult sounds and resorts to easy sounds, as in the easement of the people of Al-Ḥijāz of the glottal stop, as well as using the pause in the second consonant followed by a second vowel if the first consonant is also followed by a vowel, e.g. *fakhth* instead of *fakhith*. I have also discussed the attitude of Arabian tribes towards ease of pronunciation.

**Conclusions:** It was observed that progressive assimilation was acceptable for Arabic native speakers; they did not label it as undesirable, whereas they sometimes labeled regressive assimilation as undesirable. Undesirability may result from dialectal differences. Arabic also sometimes frowns upon shifting from a voiceless sound to a voiced on or vice versa. In addition, it considers it undesirable to use difficult pronunciations, whether in the form of two identical sounds or a difficult sound such as the glottal stop; or switching from *al-ḳaṣr* to *aḍ-ḍamm* or vice versa. It is worth mentioning that the ancient were not justified in some of what they said, such as labeling the *imālah* (changing ā into ī) in *bā'a*, which was originally *bī'a*) as undesirable.

May Allah guide our steps.